# قرأت العدد الماضي من الآداب

## القصائد

بقلم الدكتور احمد كمال زكي

***

عندما قدم نزار قباني « طفولة نهد » طلب أن نقرأ القصيدة كما ننظر الى القمر بطفولة وعفوية واستغراق .

وأردت أن أمتثل لهذه الدعوة البرة وأنا أقرأ شعر العدد الماضي من « الاداب » ، غير اني لم ألبث أن تبينت أن شيئا يدغدغ العقل .. يزاحم « حدس » كروتشه ويفسح سبيلا للاسئلة كيف ولماذا وفيم والى أين ؟

ان التذوق الفني لا يستطيع أن ينهض وحده في تقييم العمل الادبي ، بل هو يغدو قاصرا حتى في الحالات التي نفترض فيها ان الشاعر ليس مطالبا بأن يقدم لنا فكرة ما . ومن ناحية اخرى لا يصلح هذا الا في الشعر الغنائي ، وقصيدتنا اليوم عبرت الغنائية ـ مع انها لا تزال فنيا من النوع الغنائي ـ رافضة ان تخاطب الجانب الساذج من الناس .

أصبح من واجب الشعر ان يكون وسيلة اكتشاف للواقع البشري، وأصبح علينا ان نبحث فيه عن الفروض والاحتمالات والامكانات ومحاولة الخطأ والصواب دون ان نزعم ـ مع ذلك ـ أن الشاعر « يعرف » بل نضع في حسابنا انه يحاول ان يعرف .

ومثل هذا بطبيعة الحال يدفعنا دفعا من سلبية التذوق الى ايجابية الباحث ، او من التذوق المحصن الى التفقه المتقصي .

فليس عجيبا اذن أن لا أقف في محراب شعر العدد الماضي من « الاداب » موقف المتعبد . فقد كفرت ولعنت ، وسألت وحاسبت ، وأثرت شتى أسئلة كان في مقدمتها : فيم يختلف هذا « الجديد » الذي قدمته الاداب عن العمودي التقليدي ؟

على انني يجب أن أقول بادىء ذي بدء انني أعجبت بقصائد ملك عبد العزيز وبلند حيدري ـ الشاعر الذي غاب عنا كثيرا ـ ومعين بسيسو وحسن النجمي ـ الشاعر الذي يفني النفي ويبشر بالعودة الظافرة ـ ومحمد جميل شلش . وكان اعجابي حدسيا أولا ، ثم ايمانا بأن الشكل الجديد يستطيع ان يجعل من القصيدة وسيلة من وسائل المعرفة ، أغنى وسيلة لرصد قضايا الانسان واستكناه أعماقه .

أجل كان من القديم ما يفعل ذلك ، وتمكن بشار وابو تمام والمتنبي والمعري ان يجعلوا قصائدهم ـ أو بعضها ـ تحل محل العمل الفلسفي ولو بشكل نسبي . غير ان هذا القديم على جلاله كان لا يفتأ يتعثر بشتى قيود ، بعضها اللغة ، وبعضها الوضع السياسي ، ونحو ذلك .

وكهؤلاء الرواد ـ آباء الشعر ـ تمكن اكثر من شاعر أن يقول شيئا . وثمة من جعلوا القديم بداية الى أحسن ، ولم يضلوا في الطريق الذي يحاولون الضرب فيه على نحو لم يسبق اليه .

ملك عبد العزيز في « القرية البيضاء » تشجب اسلوب العموديين بتجربتها المكررة ، وهذا في حد ذاته مغامرة . وبلند حيدري يجعل نفسه بشارة للشاعر الثوري الذي يتمكن من خلق الرأي بلا صخب ولا هتافية . ومعين بسيسو ـ على اختلافي معه ايديولوجيا ـ يقدر على أن يحيل العقم في ماديات الحياة خصوبة وثراء . وحسن النجمي ، وهو عمودي ممتاز ، يجعلنا بشعره المرسل نحس في أنفسنا بهذه القدرة التي يريد ان يطمسها سوء موقفنا وضياعنا المقدر . ومحمد جميل شلش دليل اخر على بطلان ما يقال عن عجز القصيدة المرسلة عن العطاء المنغم حتى وان كانت تطرق « مواقف » السياسة والرأي .

ولكل شاعر من هؤلاء فكرة ـ قد لا تكون واضحة تماما والوضوح ليس مطلوبا ـ وهو يعبر عنها بحرية وبلا أي معوق اجتماعي او ديني ، بل وأعجبني بصفة خاصة أن يتمكن معين بسيسو من ان يعيد النظر شجاعا في موقف الشاعر ، مستلهما التاريخ الذي روي ومقررا ان الشعر كله أعجب مأساة في هذا العصر ، وليسأل من أهدى اليهم أبياته الذكية .

***

لكن هل هذا نقد ؟

انه في جملته لا يخرج كثيرا عما نادى به نزار قباني .. فهو وثبات وجدانية والنظرة الذهنية فيه عابرة لا تعرض للكيان الفني ولا للبناء الشعري ! أنا أعترف بذلك ، وقد تعمدته لشيئين : أولهما زحمة العدد بقصائد كثيرة ، وثانيهما احساسي ان أغلب القراء لن يختلفوا حول استحسان ما استحسنت ومن ثم يكون ما سكت عنه أولى بالتنبيه عليه والاشارة اليه .

ومع ذلك فأنا أرى ان أي قارىء يستطيع ـ بذوقه ونظره ـ ان يستثني ممن ذكرت بعضا ، ولكني أزعم ان من يضيفه سيكون دائما من الذين اعتادوا ان يكونوا محل رضى في الاداب . ومن هؤلاء عبد الرحمن غنيم وحسب الشيخ جعفر ، وعلى ذلك سأبدأ بهما .

أما عبد الرحمن غنيم فقصيدته بعنوان « الثلج الاسود » وفيها يبلور موقف انسان العصر في تجربة ـ لم تنضج بعد ـ تدل على ان عبد الرحمن غنيم واحد من الذين يصعب أن نتخيلهم قادرين على تقمص دور المفكر . ليس لانه محدود الطاقات ، ولكن لانه يشب دائما حتى لينتهي في هذه القصيدة بعد أخذ ورد وتقليب نظر وتفتيح نوافذ الى انه يعيش مأساة الانسان الذي يعيش في عصر ينكر الانسان .

لماذا ؟

لانه يخطىء ، ولان مصيره أسود ، ولانه يشتهي ، ولان لديه قرني ابليس وقلبه ، ولانه يتخفى وراء الكلمات الحلوة .

وهل هذه مبررات للسخط على الانسانية ؟

أنا أزعم لا ، وأرى ان وراء التمزق الانساني والضياع الانساني غير هذه جميعا . أو ان هذه الكلمات كلها من صميم الحياة منذ بدأ الشاعر ينطق ، وقد تجسدت غناء على مر العصور عندنا وعند الغربيين على حد سواء ، بين من يهومون في وادي عبقر ومن يدينون بالولاء لابولو ، يتساوى فيها الكلاسيكيون والرومانسيون ومن يقع بينهم او يخرج عليهم .

واذن فقد كانت طاقة الشاعر اكبر من التجربة ، ونحن نريد ان ترتفع التجربة الى مستوى الاداء الرفيع .

وأما حسب الشيخ فقصيدته بعنوان « الكوز » .

ان هذا الشاعر خلقته الغربة ، وأشعر في شعره دائما بلفحة الحنين وبارتعادات الذكرى الحلوة المرة . وهو في قصيدته تلك يملك قدرا كبيرا من الحساسية الراعشة ، ولكنه قصر طاقته فيها على الافضاء العام . ولهذا جاءت قصيدته باهتة الشخصية مع ان المفروض في هذا النوع من الشعر ولدى حسب الشيخ نفسه ان يكون بملامح محددة .

أنا أسأل هذا الشاعر المغترب أين بلده ؟

أهو العراق أم السودان ؟

عن طريق الاقليمية المحلية يعانق الشاعر انسانيتنا بمحبة ، وهذا

ما نريده من حسب الشيخ ، ونظنه قادرا !

***

وتلقانا بعد ذلك قصيدة كامل ايوب «المخاض الثاني» شطحة غريبة من شطحات هذا الشاعر القاهري . وعلى الرغم من انني أسلم دائما بأن للشاعر أن يعرف ليكتشف ـ ومن ثم لا أطالبه بالرؤية الواضحة تماما ـ فانني أعتب على كامل ايوب الافراط في تمزيق لحاته وتفتيت صوره حتى لنفتقد وحدة العمل المتجانس .

ماذا يريد ؟ وماذا يعني بالمخاض الثاني ؟ أهو مجرد وليد جاء بعد تجربة ميلاد فاشلة أم شيء وراءه أعمق وأكبر ؟

القصيدة ـ في حدودها الفنائية ـ متداخلة عنيفة ، ولكنها تريدنا على التحرش بصاحبها بخاصة عنما ينهض في أرقه الطويل ليعبر الدجى في مراكب الورق . انني أتصوره ينزع نفسه من الفراش، ويجبر نفسه على ان يمسك القلم ثم يقطع الورق هنا وهناك قطعا مع فكره ورأيه وحسه وقلبه .

انه في حاجة الى ان يهدأ ويصفو ، فقد يستطيع بعد ذلك ان يصل الى منجم المعرفة الذي يسافر في سبيله . وفي رأيي انه من النفر الذي يمكن أن يضع الاصابع على تنافر القيم في رحلات الضياع الشاقة ، وان أجمل ما في قصيدته المقطع الاخير ، وختامه الشاعري على وجه الخصوص .

***

وهناك قصيدة ليوسف الصائغ بعنوان «رسالة الى مالك بن الريب» ومالك بن الريب هذا هو السياب الشاعر الراحل ، فان استفتينا التاريخ رأيناه صعلوكا يتحدى القوة الاموية الحاكمة بعصابة كونها من شظاظ التميمي وأبي حردبة المازني وغويث الحنظلي . ولقد فشا شره وشكاه الناس ، غير انهم كانوا لا ينصرفون عن شعره الرصين ولا ما يهيأ له فيه ما تهيأ للقصيد الجاهلي من فصاحة وغريب وأطر فخمة وأساليب بادية .

فلماذا يربط يوسف الصائغ بينهما .. بين السياب وابن الريب الفاتك الشرير ؟ هل لانهما طوردا وماتا منفيين ؟ هل لانهما شاعران بصريان قادران ؟ هل لان أحدهما مر بتجربة الاخر عاطفيا ؟

لست أدري ، ولكني أحس أن العلاقة بين الشاعرين ليست اكثر من علاقة يوسف الصائغ نفسه بيزيد بن المفرغ وأبي حزابة ومن لف لفهما فجر حكم الامويين في العراق والشام .

وبالمناسبة ففي « الاداب » قصيدة اخرى عن السياب او في السياب بقلم عبد الجبار داود البصري وهي بعنوان « الموسم » محاولة لمعارضة « انشودة المطر » مع الفارق بين الاصل والصورة وبين حيوية « المطر » ورخاوة « الرطب » .

وأنا لم تعجبني القصيدة لا لانها احتذاء لصياغة السياب ، ولا لانها لم تعط شيئا . وانما لانها في كل بيت وفي كل صورة تذكرني بالذي فلسف المطر وصلى لتموز وصدر عن ايديولوجية مبشرة بيوطوبيا ما .

لماذا هذا الهتاف : رطب .. رطب .. رطب ، بمناسبة وبلا مناسبة حتى كأنه الافتعال ؟

وأين الجدب الذي يحييه المطر ، من الموسم الذي ضاع بلا تمر ولا رطب ؟

وما أزال أسأل الدروب والرجال
عن موسمي الذي أضعته .. أصيح بالنخيل
أصيح يا نخيل
رضيت بالقليل
فيشرب السكون صوتي النحيل
كأنها في حناجر القضب
تصيح كلها : رطب
رطب
رطب
رطب !

ملحوظة : على القارىء أن يتأمل « قضب » ليرى الى أي حد يفتعل عبد الجبار جريا وراء روي الباء ...

***

وتبقى « ترنيمة » للشاعر أحمد مرسي و « قلق » لحسن عبدالله القرشي و « الخليج » لسركون بولص و « العائد الجديد » لمحمد سعد دياب . ولست أدري لماذا أخرتها ـ وفيها واحدة على الاقل طيبة ـ هل لانها أقل عطاء من غيرها أو لانها دون المستوى المطلوب أو لانها تغرق في ميتافيزيقيات المحدثين ؟

انا شخصيا لم أفهم الترنيمة لا من حيث هي كل ولا من حيث هي أجزاء مبعثرة بعضها « عقم الماء » وبعضها « ثدي الحلم » وبعضها « أصداف الحدقات الواسعة السوداء » وأعجب من هذا ان تكون هذه ترنيمة مهداة الى طفلة اسمها شيرين .. مسكينة !

وأما « قلق » فهي ليست من الشعر الذي اعتدنا أن نقرأه للقرشي . وأظهر ما فيها ـ وهذا ليس تقريظا ـ جمعها بين الاسلوب التقليدي والاسلوب الحديث . حقا هي من النوع المرسل ، غير أن توزيع التفعيلة على غير ما نص عليه الخليل بن احمد ـ مستقرئا عيون الشعر العربي ونادره ـ لا يكفي لنقل التعبير الشعري من العمودية الى الجدة المطلقة ، والى جانب هذه المراوحة رؤى مبهمة يجلد العقل فيها في نفق ويجذب القلب كل صاعقة ويتساوق المأساة ويرتمي بقعر الهاوية !

هذه بعض عبارات الشاعر ، أتركها للقارىء وللشاعر نفسه ، فربما عرفا منها ان الاغراب ـ بكسر الهمزة ـ لا يقدم شعرا لا سيما اذا قامت ازاءه تقريريات الشعر العمودي .

وأما « الخليج » ففي رأيي انها ليست شعرا ، او هي على أحسن الفروض ليست من النوع الذي أقدر على فهمه وتذوقه .

وتبقى قصيدة « العائد الجديد » وهي لشاعر أقرأ له فيما أظن لاول مرة ، وأنا سعيد به وأحييه . انه محمد سعد دياب من السودان، وتظفر قصيدته بقوة حياة دافقة وفيها « لازمة » لولا خطؤها النحوي لسلم الشاعر من كل المؤاخذة ، فهو يقول « لم أعد أنا .. أنا » وصحتها « لم أعد أنا اياي » على ما يرى النحاة !

ويمكن اعتبار القصيدة بعد ذلك نموذجا طيبا للشاعر الفنائي الذي يتحرك في حيز ضيق ومع ذلك يفتن ويثير ، ولعل مبعث الاثارة عنده ايجازه اللافت وانسجام تراكيبه ورقة جرسها . ثم هو في تهويمه يدع ألفاظه تقطر موسيقى يفتقدها كثير من شعرنا الحديث ، واخيرا يكون من الضروري ان نقول ان حياة العقيق والمحار والسوسن والعطر والزهور والحروف والحدائق والغناء التي تنبثق عنه بحيوية مفرطة لتتقدم لوحات موفقة حقا .

أحمد كمال زكي


دار الاداب تقدم

**احمد عبد المعطي حجازي**

في ديوانه الجديد

**نكهة شعرية جديدة**

صدر حديثا — الثمن ٢٥٠ ق. ل

# القصص

## بقلم الدكتور انطوان نعمان

***

قبل ان اسجل باختصار انطباعاتي عن القصص الاربع التي نشرتها مجلة « الاداب » في العدد الماضي ، أرى أن أعرض بايجاز مقومات القصة .

هناك صور ثلاث للسرد : الرواية le roman والحكاية le conte والقصة la nouvelle

وتتميز القصة بصفات ثلاث : القصر ، والموضوعية ، والصنعة .

١ ـ فالقصة تشغل حيزا ضيقا . وهي تحكي عادة حدثا واحدا منعزلا ، له دلالة عميقة ، ويتصل بلمسة اجتماعية او انسانية . انها كالعزف المنفرد ، في الموسيقى ، والرواية كالسيمفونية .

٢ ـ والقصة أكثر موضوعية من الرواية والحكاية ، اذ لا يحق للقصاص ان يدلي باعترافات خاصة ، او ان يعبر عن رأي شخصي ، أو أن يتحيز لشخصية بعينها ، أو أن يتأثر بما يقص ، او ان يلبس مسوح الوعاظ . فالقصة ليست بمقال .

٣ ـ وجمال الصنعة ميزة أساسية في القصة . فالقصاص فنان مجود ، يهتم اهتماما زائدا بالحبكة وبالاسلوب . وعناصر الرواية والحكاية والقصة اربعة : السرد ، والمحادثة ، والوصف ، والتحليل النفسي . وفي القصة ، يكون السرد واضحا منطقيا ، والمحادثة طبيعية بسيطة ، والوصف محدد صادق ، والتحليل موجز مفصح . فن القصة يوحي اكثر مما يعرض ، يختار ولا يجمع ، يشبه الى حد كبير فن النحت والنقش .

***

والقصة الاولى ، وعنوانها « قصة اندلسية » ، بقلم ديزي الامير ، يغلب فيها الحديث والتحليل والسرد . بطلاها فتاة عربية مغتربة طلبا للعلم ، وشاب اسباني يسعى الى الرزق ، جمعت بينهما روابط الاصل الواحد ، ونشأ بينهما ، نتيجة للقاء متكرر ، استلطاف وحب افلاطوني ، انتهى بفراق لا لقاء بعده . المكان غير مميز ، وملامح البطلين غير واضحة ، والحدث عادي ، والصنعة تحتاج الى جهد اكبر . كان الاجدر بالقاصة ، على سبيل المثال ، بدلا من ان تسهب في وصف آلة القهوة الاوتومايكية ، أن توفي الاصل العربي حقه من التعريف ، فتبرزه بصور شتى . والتكرار ظاهرة واضحة في الاسلوب ، وقد يمل أحيانا : « ـ أرجو ألا تكوني ايطالية ؟ » ، أربع مرات . « ـ غريب يكلمها فتجيبه » ، مرتان . « تبدأ التعلم بطريقة صحيحة . كلهم جاءوا ليتعلموا وهي جاءت كذلك لتتعلم ... ستتعلم ... ستتعلم كيف تنسى . أليس تعلما أن تنسى ؟.. أصحيح انها تريد أن تنسى ؟.. » . « لا يهمها ان كان صادقا ... وفتشت عن الصدق فيه وصدقت ما كان غير صادق منه » . « ... وهي لا تدري أين تقودها قدماها ولا تدري ماذا تفعل . الذي تدريه انها ترجو ألا تكون قد أضافت الى مخزن الماضي قصة اندلسية » .

غير ان ديزي الامير أجادت اجادة تامة تمثيل مسلك وتصورات وأحاسيس وأفكار الفتاة العربية المغتربة عندما تلتقي برجل يوليها اهتمامه ، ويعرف عند اللزوم كيف يأمر فيطاع . ان مقدراتها مقدرات تحليلية .

***

والقصة الثانية وعنوانها « ملح الرجال » ، بقلم عبد الفتاح الحسن ، تعالج موضوع الصدق والكذب . يعرض القصاص في بدايتها فكرته عن الصدق ونسبيته وأزليته عند الانسان ، في شكل ديباجة . ثم يسرد واقعة حدثت له وهو طفل . واخيرا يبدأ القصة التي تتميز بالوصف . انه يجيد التصوير ويبرع في الرسم ونقل الحديث وسرعة السرد ، يساعده في ذلك خياله الخصب ، ورؤيته الواضحة المزدوجة التي تجمع دائما بين ما يرى وما يتذكر أو ما يتخيل ، ودقة التعبير ، فجاءت قصته عبارة عن لقطات فوتوغرافية يربط بينها السرد الذي لا يخلو من عامل الاثارة ، وتتخللها أحاديث مقتضبة واقعية . وغلبة المقدرات التصويرية عند عبد الفتاح الحسن تظهر ايضا في أسلوبه المرصع بالصور البيانية العديدة . وأرجو أن يخفف القصاص من حدة رغبته الملحة في توجيه الحديث الى القارىء ، اذ يفسد عليه بذلك لذة الاستمتاع بعالم الخيال . أمثلة : « لا تضحك . فكلنا كذلك . عفوا » . ـ « ولكني أكاد ابتعد بك عن تلك الحادثة بيني وبين أستاذي ... » . ـ « لم نكن نفارق البيت ـ قلت لك ـ الا اذا شاء سوء طالعنا أن نذهب الى المدرسة » . ـ « ألم أقل لك اننا كنا في فترة حرب ؟ » . ـ هل تصدق اني كنت آكل وأنا أكاد أبكي من الشبع ؟ » .

***

والقصة الثالثة ، وعنوانها « النسر » ، بقلم نايف شرف الدين ، تهتم اهتماما عظيما بمشكلات اجتماعية تنتزع القصاص من الحكاية . غير ان نايف شرف الدين بارع في السرد ، حديثه ذو شجون ، يرتبط بعضه بالبعض الاخر ارتباطا منطقيا ، فيه عذوبة وليونة ، يشد اليه الحديث المباشر فيجعله غير مباشر ، وينتقل بسلاسة من الحاضر الى الماضي والى المستقبل ، تتخلله الامثال الشعبية ، يجذب انتباه القارىء ويعده للنهاية المفاجئة التي أملاها القدر ، فتنتقل بنا من أحلام اليقظة الى الواقع المرير . واعتقد انه يجدر بنايف شرف الدين ان يبرز مقدراته التي لا جدال فيها في السرد ، وأن يحد من ميله الصارخ الملح الى التعليق على مجريات الامور . ويا حبذا لو امتنع امتناعا باتا عن الوعظ والارشاد ، فالقصة ليست بمقال . أمثلة : « ليس من مخلوق يؤدي لك خدمة او معروفا دون مقابل ... » . ـ « عجيب أمر هؤلاء النواب ... » ـ « ومثلهم ايضا الوزراء المحترمون ! متى يا ربي ، تأتي حكومة صالحة تسهر على مصالح البلد والناس ؟ » . ـ « يا الله قنا شر الغربة . انها تفرق الشمل ، وتهين النفس ، وتفقر مسقط الرأس .. عشرات الالوف من ابناء وطننا مشتتون في جميع ارجاء العالم .. هل سيكتب لهم أن يروا تراب وطنهم ثانية ؟ » . ـ « ان الكثير من امثال هذا الصبي منتشرون في كل أرجاء هذه المدينة الكبيرة ، يبتلعهم شارع ويلفظهم شارع ، عشرات المرات كل يوم . متى تفهم الحكومة ان لهؤلاء البؤساء حقا عليها ؟ » . ـ « هذه مهزلة ومأساة بشعة ! وهي واحدة من مهازل ومآس بشعة كثيرة يدور رحاها هذه الايام ! كان الله في العون . كان الله في العون » .

***

والقصة الاخيرة ، وعنوانها « ابن البطل » ، بقلم صلاح بزركان ، تحكي قصة حياة « مولود قومندان اوغلو » ، واحد من ملايين الاتراك الذين لم يصيبوا حظا من التعليم ، فبات همهم كسب قوت يومهم بالجهد والعرق ، وأملهم المتعة الجسدية يوم الراحة . ومولود نموذج .

ينقلنا القصاص من حاضر بطله الى ماضيه القريب والبعيد ، ومن عمله الى شؤونه الخاصة . تتتابع المناظر ، وتتلاحق المعلومات ، لتصور لنا يوما ينذر بالمطر ، ولونا من الوان الحياة في تركيا العثمانية ، وعاملا كادحا كثير التأمل في حاله ، فهو لا ينفك عن التحليل ، ثم تاريخ حياته . وهنا ينتقل صلاح برزكان من الاطار الضيق الذي تتميز به القصة الى الاطار الواسع الذي تلتزم به الرواية ، فتتبدد مقدراته كقصاص ، لتبشر بمقدرات روائي اجتماعي ، او مخرج سينمائي . انه يحتاج ، ليكون كاتب قصة قصيرة ، الى مزيد من التركيز والتعمق والكبح . فعلى سبيل المثال ، لا أرى داعيا لانهاء محاولة أولى لتصوير غروب ينذر بالمطر ، بمثل هذه العبارة : « وكان الشعراء يطوون أوراقهم ويضعون أقلامهم جانبا ، فلم يكن ذلك الجو يوحي بأي الهام » . انها عبارة تنقلنا من عالم الحس ، الذي هيأنا له القصاص ، الى عالم الذاكرة .

***

ومما يسترعي الانتباه ، بعد قراءة القصص الاربع السابقة ، ان الموضوعات كئيبة ، يسودها الاسى والشقاء . فهل آن الاوان لقاصينا العرب أن ينظروا الى الحياة نظرة متفائلة ، وان يبثوا في أبطالهم الارادة بدلا من الاستسلام ، وان يحاولوا القصة الانسانية . ان الحياة كفاح وأمل ، وان الانسان جسد وقلب وعقل .

القاهرة

**انطوان نعمان**